❶.المدرسة الفرنسية

في غالب الأحوال تذكر المدرسة الفرنسية في مقابل المدرسة الأمريكية[1]. وهي مقابلة تشي بكثير من الخيارات والمواقف المتعارضة، ومن الممارسات المقارنة أيضا.

فالمدرسة الفرنسية، في العهود الأخيرة، تتجاوز الوطنية ولغة الكتابة إلى « اتجاه عام ـ يقول سعيد علوش ـ خلق أتباعا ببقاع كثيرة بما فيها أمريكا ؛ فهذه المدرسة تقترح أساسا صلبا لكل بحث جاد، هو المدونة الجيدة...ومعرفة ما فوق ـ وطنية، تعززها ثقافة لغوية، وتجميع لعديد من الأحداث الفرعية، تحيل على الحضارة. »[2]

الأصول:

لا شك أن المدرسة الفرنسية سابقة تاريخيا على غيرها، وأن فضاء فرنسا الاستراتيجي ساعدها على أن تكون مجمعا لتيارات كثيرة. ثم إن لتاريخ فرنسا الاستعماري (التوسعي) دورا في صناعة ميزان قوى كانت لها فيه شبه هيمنة، ورائحة التفاف، أساسهما عقلية التفوق وذهنية الامتياز وهو ما يسميه سعيد علوش بـ « إطار علاقات الأسباب بالمسببات التاريخية، أي أن علاقات القوى بينها وبين باقي الآداب لعبت دورا أساسيا في بلورة شكل مدرسي، يستلهم مقوماته داخل مفهوم التميز والأمجاد التاريخية.»[3]

واتساعا في هذا المعنى، يضيف حسام الخطيب إلى هذه العوامل عوامل أخرى تتلخص في احتضان فرنسا

---

[1] Cf. P. Brunel, C. Pichois, A-M. Rousseau, *Qu'est-ce que la littérature comparée*, op. cit., p. 27

[2] سعيد علوش، مدارس الأدب المقارن، سابق، ص. 55

[3] سعيد علوش، مكونات الأدب المقارن في العالم العربي، سابق، ص. 81

« منذ البدء الدراسات الخاصة باللغات الرومانسية وهي لغات أقطار أوربة الجنوبية التي تفرعت عن اللاتينية واستقلت عنها، وأخذت منها بالتدريج امتيازها الخاص، بحيث لم تعد اللاتينية لغة اللاهوت والثقافة والسياسة والطبقات الراقية كما كانت في العصور الوسطى، ونظرا لاهتمام فرنسا بهذه اللغات الرومانسية ونظرا لأن ثورة فرنسا على اللغات اللاتينية تبلورت في شكل اتجاه أدبي فكري [...] فإن الفرنسيين كانوا أول من تنبه إلى قيمة التراث المشترك بينهم وبين المناطق الأوربية الأخرى، مما خلق الأساس الأول للتفكير في الأدب المقارن. »[1]

كما أنه يحصَى للحكام المتعاقبين على فرنسا دورٌ في استتباب الفكر المقارني، أساسه السعي إلى أن يكون بلدهم مركزا للإشعاع الثقافي على قواعد المراس الأدبي المعمّق يتسع إلى أوربا بأكملها، ويكسب ـ طبعا ـ فرنسا المركزية المنتهية إلى الهيمنة وإلى أشكال الأفضلية المختلفة.

تفاعلت هذه العوامل مع غيرها، فنشأ من الكتّاب من تلمس الحاجة إلى تلاقح الفضاء الأوربي ـ بما في ذلك الفرنسي ـ مع بعضه، وانتبه إلى المشترك الجامع بين المجتمعات والثقافات، فدعا إلى ذلك بحماس دعوة أسهمت بقدر كبير في ظهور الأدب المقارن. هذه السيدة دي ستيل Madame de Staël تزور ألمانيا، وتنشر حصادا لرحلتها سنة 1810 عن ألمانيا De l'Allemagne تنتقد فيه « أولئك الذين يحتقرون الآداب الأجنبية ولا يهتمون بدراستها، ودعت إلى دراسة آداب الآخرين في لغاتها الأصلية، وألقت نظرة فاحصة على آداب الشمال وآداب الجنوب، وأبانت ما بينها من وجوه الشبه والاختلاف »[2]؛ وما كان لكتاب دي ستيل

[1] حسام الخطيب، آفاق الأدب المقارن عربيا وعالميا، دار الفكر المعاصر، بيروت / دار الفكر، دمشق، ط2، 1999، ص ص. 93-94

[2] الطاهر أحمد مكي، الأدب المقارن، سابق، ص. 63

إلا أن يترك أكبر الأثر في الطبقة الفرنسية المثقفة « لأنه مدّ واحدا من أوائل الجسور الفكرية والاجتماعية بين بلدين متجاورين، لم تكن العلاقة بينهما دائما على ما يرام. »[1]

مقاومة التأثير الأجنبي:

لا بد من ملاحظة أن الذهنية الفرنسية، في هذا السياق، كانت مدفوعة إلى مقاومة التأثير الأجنبي (الذي حاربته دي ستيل) على نحو ما قدمنا، غير أن فعالية النقاش بين أنصار القديم وأنصار المستقبل في فرنسا انتهت بالجميع إلى بلورة فكرة الأدب العالمي، وإلى الذعوة إلى فكرة تكافؤ الإبداع الفنب عند مختلف شعوب الأرض[2] حيثما كانوا زمانا ومكانا.

في صميم هذه النظرة إلى مسألة التفاعل الأوربي، طفح إلى السطح الوعيُ بدراسة عوامل التأثر والتأثير التي لا يمكن لأي طرف النجوةُ منها، بيد أن الأطراف ـ محكومةً بالنظرة الداخلية إلى ذاتها ـ تنظر إلى نفسها بوصفها مؤثرة لا متأثرة، وهي نظرة كثير من الباحثين الفرنسيين، أحدهم آبل فيلمان Abel-François Villemain الذي اشتغل بشكل شبه كلي على قضية التأثير هذه وجعل من مضمونها « فحص الأثر الذي تركه كتاب فرنسا في القرن الثامن عشر على الآداب الأخرى وعلى العقلية الأوربية عموما »[3]، ثم طبع الكتاب ـ وهو سلسلة محاضرات ألقيت بجامعة السربون طبعة جديدة سنة 1840، أكد فيها فيلمان بأن « محاضراته كانت أول محاولة تتم في جامعة فرنسية لإجراء "تحليل مقارن" لعدة آداب حديثة. »[4]

---

[1] حسام الخطيب، آفاق الأدب المقارن عربيا وعالميا، سابق، ص. 94

[2] ينظر: الطاهر أحمد مكي، الأدب المقارن، سابق، ص. 63

[3] حسام الخطيب، آفاق الأدب المقارن عربيا وعالميا، سابق، ص. 95

[4] رينيه ويليك، الأدب المقارن: اسمه وطبيعته، ضمن كتاب مفاهيم نقدية، ترجمة محمد عصفور، سلسلة عالم المعرفة / 110، 1990، ص. 256

ثم إن التوجس العلمي، وإحكام الترتيب البيداغوجي، مشفوعين بإسعاف الظروف الثقافية والسياسية هَيَّآ فرنسا لأن تكون فضاء للأدب المقارن على أساس من درس "علاقات الأسباب بالمسببات بين الآداب الوطنية"، لآجال مديدة، إلا أن المفاهيم المستخرجة من هذا المنظار تأسست واستقرت ضيّقة حصرت الأدب المقارن في مجالات ومفاهيم لم يثبت أمام النقد، ومع الوقت شكلت ردود أفعال في المنظومات المعرفية المغايرى للمنظومة الفرنسية، واتسعت في تحديداتها وتطبيقاتها بما أبعدها كثيرا . ما عدا بعض المشتركات . عن الرؤية الفرنسية.

تلخص الأداء الفرنسي، في المنظور النقدي العام، والأمريكي على جهة الخصوص، في « التجميع الضخم للأدلة الخاصة بالعلاقات الأدبية خاصة فيما يتعلق بتاريخ مكانة الكتّاب وبالوسطاء ما بين الشعوب»[1] وليست تلك بالسبيل المؤدية إلى تسوية النظرة إلى الآداب على أساس من حياد في التناول هو الأمان من الانزلاق إلى الخيارات المحدودة، وإلى المعالجات المنحازة بل هي طريقة تبتعد عن النقد الذي هو أكثر من فرضية في مثل هذه الدراسات. هو أصل الفرز بين النصوص وبين التقاليد الأدبية التي تقرّب بين الآداب أو تباعد بينها، وعدم اعتماده يفضي في أحسن الأحوال إلى الافتراض حيث يجب اليقين، وإلى محدودية الاستنتاج حيث يطلب سعته وعمقه. فمن العسر بمكان البرهنةُ على أن عملا فنيا تأثر غيره[2] قام على أنقاض غيره، أو امتد منه بأي شكل من الأشكال، وإن وجدت قرائن نصية محيلة على المشابهة أو موهمة بها، إلا إذا دلّ اللاحق بالنص المصرّح على أن أرضيته من السابق عليه بالتعيين.

[1] نفسه، ص. 273

[2] ينظر: الطاهر أحمد مكي، الأدب المقارن، سابق، ص. 62

وفي المحصلة لا يمكن لدرس هذا أساسه إى أن يكون خارجيا « غالبا ما تعيبه العواطف القومية الصيقة، والرغبة في حساب الثروات الثقافية، أي حساب الدائن والمدين في أمور الفكر. »[1]

الرؤية الفرنسية: الاختلاف من الداخل.

هذه الرؤية الفرنسية لم تقم على إجماع في الواقع، أو لم يصمد حولها الإجماع بظهور مقارنين فرنسيين لم يكونوا يؤمنون بتفاصيلها كلها، من نحو تين Hippolyte Tean (ت. 1893) برينوتيير Ferdinand Brunetière (ت. 1908) وسانت بوف Charles-Augustin Sainte-Beuve (ت. 1869)، وهي مجموعة كان لها حماس غير خاف وسعي غير كليل للتأسيس لتاريخ أدبي يتجاوز الحدود الوطنية الفرنسية، وللسعي إلى توسيع الفضاء المعرفي داخل أوربا استجابة إلى مقتضيات عامة كان السياق الأوربي وطبيعة العلاقات الثقافية داخله تدعو إليها.

وحتى هذا المنحى العام لم يكن ليقدم الحلول لمشكلات انغلاق واتساع الآداب في أوربا يومها، فقد ظل البحث يتراوح في دوائر تتواجه بالمفاهيم ولا تخرج من مواجهاتها بطائل، مما أعطى انطباعا بوجود أزمة ضاق بها الأفق وصرف كثيرا من الكتاب إلى البحث في تاريخ الأفكار، والتيارات والمذاهب بأنفاس هي أقرب إلى القلق لأنه لا يقين فيها. نجد شيئا من ذلك . وليس هو بالهين . في كتاب يصفه ريمون طحان بـ « أبلغ مؤلف أنتجته الدراسات المقارنة في فرنسا »[2] هو كتاب (أزمة الضمير الأوربي في القرن الثامن عشر la crise de la conscience européenne au XVIII[e]) لبول هازار Paul Hazard (ت. 1944) المنشور سنة 1926، وفي (بيبليوغرافيا الأدب المقارن) لفرناند بالدنسبرغر Fernand Baldensperger (ت. 1958)، وغيرهما.

---

[1] رينيه ويليك، رينيه ويليك، الأدب المقارن: اسمه وطبيعته، ضمن كتاب مفاهيم نقدية، سابق، ص. 273

[2] ريمون طحان، الأدب المقارن والأدب العام، دار الكتاب اللبنانبي، بيروت، ط1، 1972، ص. 20

عمليا، ظهرت ملامح المدرسة الفرنسية ـ بوصفها اتجاها ـ « مع ظهور أول كرسي للدراسات المقارنة، وأول مجلة للأدب المقارن، وأول مقال حول (الكلمة والشيء) »[1] le mot et la chose، وهو ظهور تبلورت من خلاله التهيؤات الأولى والحقيقية لأن تكون فرنسا أرض فتح ـ في أول الحال على الأقل ـ للأدب المقارن، مع ما يتبع ذلك . وقد تبعه . من لواحق مكملة من أسماء أثثت جيلا بأكمله، وآثار، ومعالجات ومؤسسات أصبحت مرجعية فيما بعد.

في كل حال، التصق بالمدرسة الفرنسية مبدأ مقارنة أدبين قوميين لأن مقارنةً هذه طبيعتُها « تفضي إلى نتائج محددة ومفيدة، وتخدم العلاقات الأدبية الثنائية، وبذلك فهي تخدم العلاقات الثنائية بين أمّتين»[2]، وفوق هذا فإن فكرة المقارنة، من أي وجه كانت، تزيد بمعرفة الآداب المقارن بينها معرفةً وبتاريخها درايةً، والذي هو فتح يحسب لهذا العلم هو أن الآداب القومية وتاريخها كانت مسألة داخلية، أي أنها لم تكن تعرف إلا من داخلها. فالذي اختلف بدينامية الأدب المقارن، أنه أصبح ينظر إلى أدب أمة ما بمنظار غيرها، ومن هنا اتسعت الإيجابية إلى الإضافة إلى الأدبين المقارن بينهما معا. يقول عبده عبود:

> « إن الغرض من دراسة علاقات التأثير والتأثر هو إكمال كتابة تاريخ الآداب القومية. ومن خلال تلك المساهمة يضيف الأدب المقارن إلى تاريخ الآداب جانبا كان مؤرخو الآداب القومية قد أغفلوه. فقد كانوا يؤرخون لكل أدب قومي بمعزل عن الآداب القومية الأخرى، ولكأنه تاريخ التطور الداخلي لذلك الأدب فقط. لم يعر مؤرخو الأداب القومية اهتماما لعلاقة كل أدب بالآداب القومية الأخرى، إلى أن جاء الأدب المقارن في صورته المبكرة [...] فسدّ

[1] سعيد علوش، مدارس الأدب المقارن، سابق، ص. 56

[2] عبده عبود، الأدب المقارن. مشكلات وآفاق، سابق، ص. 25

تلك الثغرة في تاريخ الأدب، وبين أن تاريخ أي أدب قومي ليس مجرد تاريخ ما يجري ضمن ذلك الأدب من تطورات، بل هو أيضا تاريخ ما يتم بينه وبين الآداب القومية الأخرى من تبادل وتفاعل.[1]»

إن المبدأ التاريخي الذي هو أساس المدرسة الفرنسية تكرَّس في فكرة الأجيال التي تعاقبت على سيرورتها، وبها على الأغلب تبلور مفهوم المدرسة[2]. فالتجييل عبَّرَ عن استمرارية وتطوير الآليات والمناهج؛ فبعد المؤسسين الأول من أمثال جان جاك أمبير Jean-Jacques Amber (ت. 1864)، وآبل فيلمان وسانت بوف، ظهر جيل ثان منهم مارسل باطايون Marcel Bataillon (ت. 1977)، جان ماري كاريه Jean-Marie Carré (ت. 1958)، جاك فوازين Jacques Voisine (ت. 2001)، روني اتيمبل René Etiemble (ت. 2002)، ماريوس ـ فرنسوا غويار Marius-François Guyard (ت.2011)، وقد تعاقبوا جميعا على كراسي الدراسات المقارنة وعلى إدارة مجلة "الأدب المقارن" خدمة لأهداف المدرسة وعملا بمبادئها. ثم استمر نسق المدرسة مع جيل ثالث من المؤلفين طبع حضوره بتأليف الكتب التعليمية ممن أمثال كلود بيشوا Claude Pichois، لوجون Lejeune، إيف شوفريل Yves Chevrel ودانيل ـ هنري باجو Daniel-Henri Pageaux؛ فتوسيع وتنويع مجالات العمل وتطوير المناهج والمقاربات أكد تاريخية المدرسة الفرنسية.[3]

مراحل المدرسة الفرنسية:

المرحلة الأولى:

ولئن كان تاريخ الأدب المقارن في فرنسا يعتبر أمبير وفيلمان أبوين حقيقيين للأدب المقارن في هذا البلد فإن جوزيف تكست Joseph Texte(ت. 1900)

---

[1] نفسه، ص. 27

[2] Cf. P. Brunel, C. Pichois et A-M. Rousseau, *Qu'est-ce que la littérature comparée*, op. cit., p. 82

[3] ينظر: سعيد علوش، مكونات الأدب المقارن، سابق، ص. 82

في دراسته الموجزة (جان جاك روسو وأصول العالمية الأدبية) الصادرة عام 1897 بمعية لويس بتز Louis Paul Betz (ت. 1903) يعد مؤسس المقارنة الفرنسية على نحو علمي[1] التي دشنت جامعيا في السنة نفسها بإنشاء كرسي التاريخ المقارن للآداب بجامعة ليون Lyon[2] . وكان تكست أول من شغل كرسي الأدب بجامعة السربون سنة 1910[3]، وحاضر فيه عن « تأثير الآداب الجرمانية في الأدب الفرنسي منذ عصر النهضة»؛ وبإنشاء الكراسي الثلاثة في ليون (1897)، باريس (1910) وستراسبورغ (1918) تنتهي المرحلة الأولى من الأدب المقارن بفرنسا.[4]

المرحلة الثانية:

أما المرحلة الثانية فيفتتحها . على صعيد التأليف . مقال تنظيري شهير لفردناند بالدنسبرجر بعنوان "الكلمة والشيء" le mot et la chose الصادر بمجلة "الأدب المقارن" سنة 1921، يحصي فيه الكاتب بعض المآخذ على سابقيه في اصطلاح الأدب المقارن وفي مضمونه. أعني فهمهم لمضمونه. إذ يرى مثلا أن في إطلاق سانت بوف سنة 1868 للتسمية بعض الإساءة لهذا النوع من الدراسات لنزوعه إلى السهولة والتسطيح، بما لا يساعد في تكوين منهجية خاصة بهذا العلم، وما لا يبعث على أخذه مأخذ الجد.[5]

واللافت في هذا العمل كذلك إشارة الكاتب إلى دور رحلات الكتّاب الفرنسيين، وأعمال الاستشراق في صناعة مخيال فرنسي تتضخم فيه الأنا بإسراف واضح ليحقّر الآخر ويمتهن، وفي أحسن الأحوال يختزل فيما لا يشبه حقيقته. وقد التصق هذا المراس بكُتّاب من أمثال جان ماري كاريه.

---

[1] في علمية وموضوعية المقارنة الفرنسية؛ ينظر: ريمون طحان، سابق، ص. 17

[2] Cf. P. Brunel, C. Pichois et A-M. Rousseau, *Qu'est-ce que la littérature comparée*, op. cit., p. 22

[3] ينظر: الطاهر أحمد مكي، الأدب المقارن، سابق، ص. 70

[4] نفسه، ص. 73

[5] ينظر: السعيد علوش، مدارس الأدب المقارن، سابق، ص ص. 56-57

الملاحظ على تناول بلدنسبرغر أنه كان مدفوعا بدوافع كونية مكنته من إرساء رؤية شاملة وتاريخية أوربية « جعلت من الوعي بالخارج جزءا من وعيها بالذات الوطنية » ومكنته من رسم فضاء الأدب المقارن من خلال ملاحظته ما انتهجه بعض الكتاب النافذين ـ مثل باري ـ من الاستغلال الحرفي للمعرفة بالخارج القائمة على تجميع مختلف الموضوعات في عناصر بسيطة لا تعمّقها ولا تجددها؛ ومن خلال نشر التداخلات بين السلاسل الوطنية للأعمال الأدبية، وهو مراس يحدّد فضاءات التأثير الخارجية لكبار الكتّاب.

وبقدر ما يقف عند المآخذ، يحصي بالدنسبرغر حسنات سابقيه من أمثال برينوتيير الذي يظل « عندنا المدافع الرئيسي عن هذه الدراسة المقارنة للعصور الأدبية الكبرى، ويشهد عمله النقدي عن رغبة متنامية لربط تاريخ الآداب الخاصة بالتاريخ العام للأدب الأوربي، ويظهر لديه بأن مفهوم الأدب هو واحد بحق، عبر انتشاره المتزايد في الفضاء والزمن.»[1]

يتبنّى بالدنسبرغر ، وجناح من المدرسة الفرنسية معه، فكرة قيام الأدب المقارن على الانتشار وتجاوز الحدود الوطنية واللغوية، بناء على علاقات خلفها التاريخ الأدبي بعمقه وسياقاته، لا يمكن القفز عليها، فتأسيسا عليها تتمثل أهمية الأدب المقارن في المساهمة في استعادة الماضي بحمولته لا في مجرد رصد الأنظمة والأطر العامة، أو في إحصاء الامتداد الافتراضي للموضوعات، والوسائط والميثات mythes.[2]

يتسم دخول المدرسة الفرنسية في ثاني مراحله بتجاوز بالدنسبرغر لآراء أسلافه جوزيف تكست، جاستون باري وفرناند برينوتيير لأنها بتصوره قديمة. وناقش بعمق فكرة "الغائية في التطور" وآلية إفضائها من السبب إلى النتيجة. يقول

---

[1] Cf. F.Baldensperger, op. cit., pp. 20-21 (الترجمة لسعيد علوش)

[2] ينظر: السعيد علوش، مدارس الأدب المقارن، سابق، ص. 59

بها برينوتيير، لأنها تلغي مبدأ العفوية في الإبداع وتفرض على الأجناس الأدبية حتمية تخضع الماضي لغائية لا تنسجم مع الواقع.

وبقدر ما يستبعد بالدنسبرغر تاريخ الموضوعات، والموازنات، والمصادر والرؤية الاجتماعية، من الأدب المقارن، وهو ما يقول به تين، فهو يرفض التأكيد على العوامل المناخية لأنها تؤدي إلى تهوين غيرها، ولا يستبقي من عوامل الدرس المهمة، أو يكاد، سوى للبواعث والمناهج ذات المرونة التطبيقية في نظره.

جاء فان تيغم، أعظم المقارنين الفرنسيين، بعد بالدنسبرغر، ليقدم أشمل دراسة للأدب المقارن في كتابه الموجز "الأدب المقارن"[1] وأكثرها تأثيرا في مسار البحث المقارن، يعلن فيه أن

La littérature comparée est une science en grande partie française[2]

وفيه يقول

On emploie concurremment à "littérature comparée" d'autres termes plus exacts et plus clairs, mais moins brefs et moins commodes.[3]

وتأكيدا لعمق أطروحته، ظل فان تيغم يواصل نشاطه في التأليف، فقد أسهم منذ عام 1911 في "مجلة الدراسات التاريخية" واقفا على كل جديد ومنبها عليه، وأبرز ما يحسب له، بعد كتابه سابق الذكر، مقاله سنة 1912 بمجلة "الأدب المقارن" المذكورة قريبا، بعنوان " التأليف في تاريخ الأدب: الأدب المقارن والأدب العام".

---

[1] Cf. Paul Van Tieghem, *La littérature comparée*, Paris, Armand Colin, 1931

[2] Ibid. op.cit., p. 6

نترجم: « الأدب المقارن، في أغلب الحال، علم فرنسيالحال، علم فرنسي .»

[3] Ibid. op. cit., p. 20.

نترجم: «تستعمل في الأدب المقارن، بشكل تنافسي، تعابير أخرى أكثر دقة وأكثر وضوحا، ولكنها أقل اختصارا.»

جاء أحد أبرز تلاميذ فان تيغم، بول هازار، بتغذية النقاش وإذابة التفرقة بين الأدب المقارن والأدب العام، لأنها تفرقة مصطنعة كما يرى ويرى معه كثيرون، وعالج ذلك بكثير من الحماس في كتابه "أزمة الضمير الأوربي" المنشور سنة 1935 ، بمقدمة موجزة تحيل على مجمل آرائه في الموضوع.

توقف نشاط المدرسة الفرنسية أثناء الحرب الكونية الثانية، تدريسا وتأليف، ولم يعد، كما يلاحظ الطاهر مكي، إلا بعدها، حيث استؤنف تدريسه بجامعة ديجون سنة 1949، وجامعة بوردو سنة 1951، وجامعة تولوز سنة 1952 وجامعتي غرونوبل وإيكس منذ عام 1966.[1]

كما أن أبرز فعل تأليفي فرنسي، بعد الحرب، هو كتاب فرنسوا ماريوس غويار الصادر سنة 1951، وهو كتاب موجز تبدو فيه آثار فان تيغم، معروف في الأوساط العربية لأنه ترجم مرتين، ترجمة مصرية أولى بعناية محمد غلاب سنة 1956، وهي ترجمة رديئة بطبعتها إلى حد بعيد، وترجمة لبنانية بعناية هنري زغيب صدرت ببيروت سنة 1978.

لا شك أن المدرسة الفرنسية، بالطابع المؤسساتي الذي اتخذت عبر السنين، وبناء على التقاليد المقارنية التي اتسعت على يد أجيال من كتّابها، قد اكتسبت شرعية تاريخية وفرضت توجهات في الدراسة لم تنازَع الكثيرَ منها، إلا أنها تعرضت . ابتداء من خمسينات القرن الماضي . إلى نقد لا يخلو من حدة آتٍ على جهة الخصوص من الأمريكيين، على رأسهم رينيه ويليك وأوستين وارين كما سنرى. أحدث هذا النقد هزة في الضمير المقارن الفرنسي، وأدى إلى مراجعة كثير من مسلماته.

[1] ينظر: الطاهر أحمد مكي، الأدب المقارن، سابق، ص.76

نشأ التوجه إلى إعادة تشكيل النظام المقارن الفرنسي نهاية ستينيات القرن الماضي، مع المقارنين كلود بيشوا وأندريه ميشيل روسو، إذ

Dés lors, la littérature comparée vise, dans le domaine proprement littéraire, plus que l'étude des sources; celle des genres à l'échelon de leurs réalisations en plusieurs pays, celle des thèmes ou des mythes, mais aussi la comparaison de la littérature avec d'autres arts, comme également elle se combine avec la littérature générale[1].

أَنْسَلَ هذا التشكيل الجديد خارطة أعم للتقاليد المقارنة بفرنسا، ألمّ بها . أو كاد . كتاب للثلاثي بشوا، روسو وبرونيل "ما الأدب المقارن؟"[2] وهو نسخة موسعة لكتاب الأوَّلَيْن "الأدب المقارن"[3]، في فصله الأول استعراض للجانب التاريخي ولإجراءات المقارنة التقليدية، وفي بقية الفصول دعوات ضمنية إلى إعادة التفكير في كثير من ثوابت المقارنة وإلى مراجعات يقتضيها تطور هذا العلم.

مراجعات التأليف الثلاثي ـ وإن مبقية على الطرق التقليدية ـ تأخذ في الاعتبار، بل تشرعن الممارسات التي غدت خيار المقارنين الجدد بانضمامها إلى مجال دراساتهم. تلك حالة المقاربات متعددة الاختصاصات؛ فافتراضا لوجود علاقات بين المجال الأدبي والإنتاجات الفنية أو العلمية، يفترض أن هناك تطورات في الأفق النقدي وأيضا وخصوصا على مستوى تعاريف الأدب المقارن ذاته.

إن مراس المؤلفين، من ناحية أخرى، وهو أمر لافت له أهميته، يحدثون توازنا بين التحقيقات السلالية وبين الدراسات الموضوعية أو الاشتغال على ظاهرة التناص، بالرجوع إلى التعددية اللغوية[4] والتعددية الثقافية، مراهنين على تعددية

---

[1] Daniel Maggettti, *Littérature comparée*, dans: *Le Dictionnaire du littéraire*, op.cit., p. 352 .
نترجم: « حينها بدأ الأدب المقارن يستهدف، في المجال الأدبي الصرف، أكثر من دراسة المنابع، والأجناس في مستوى إنجازاتها في بلدان مختلفة، والمواضيع والأساطير متجاوزا ذلك إلى مقارنة الأدب بفنون أخرى، وإلى اندماج الأدب المقارن بالأدب العام.»

[2] Cf. P. Brunel, C. Pichois et A-M. Rousseau, *Qu'est-ce que la littérature comparée*, op. cit.

[3] Cf. C.Pichois et A-M. Rousseau, *La littérature comparée*, Paris, Armand Colin, 1967

[4] Cf. P. Brunel, C. Pichois et A-M. Rousseau, *Qu'est-ce que la littérature comparée*, op. cit., p. 33

المعنى الأخير للوصول إلى الجماعات اللغوية المختلفة في بلدان متعددة اللغات، وإلى إنتاج جماعات يختلف بعضها عن بعض أو جماعات تتحدث لغة واحدة ولكن لا تنتمي إلى حيّز جغرافي وسياسي واحد.[1]

إن هذه المرحلة من تاريخ الأدب المقارن تؤكد ما أثبته تطور هذا العلم، بما يعني أنه من جهة مناهج دراسته ومن جهة تعاريف الفعل الأدبي التي تقف وراءها علم لا ينفصل عن مجال "الأدب العام."[2]

[1] Cf. Daniel Maggettti, *Littérature comparée*, dans: *Le Dictionnaire du littéraire*, op.cit., p. 352
[2] Ibid., op.cit.,